محاضرة رقم 1 في الفلسفة الغربية الحديثة

المستوى: السنة الثالثة ليسانس السداسي الخامس.

إشراف الدكتور: بن دوخة هشام.

* مدخل إلى الفلسفة الغربية الحديثة.

ماهي الأسباب التي أدت إلى ميلاد الفلسفة الغربية الحديثة؟، متى وكيف ظهرت؟، وغن وجدت فلماذا قلنا أنها غربية وليست شرقية ؟، وبماذا نفسر حداثتها؟، هل لأنها ثورة ضد ماهو قديم؟، ام تعتمد على هذا الأخير لتأسيس الجديد؟

مقدمة:

رغم أن الفلسفة الغربية الحديثة كانت ثورة انقلابية على الفكر القديم وحصرا على الفكر الوسيط، فهي لم تنشأ من فراغ، وإنما كان ظهورها نتيجة لظروف وأسباب سابقة، لهذا نلاحظ أن نشأتها كانت في إطار عملية تقدمية تطورية بطيئة جدا، وعلى مدى مساحة من الزمن طويلة. تلك الفترة التي تقع مابين القرن 15 ونهاية القرن 16، وهي ماتعرف بعصر النهضة. من هنا كان ميلاد الفلسفة الغربية الحديثة يقترن اقترانا وثيقا بهذا العصر المسمى بعصر النهضة "la renaissance " بل إن هذا الأخير هو في حقيقة الأمر سببا من جملة الأسباب المباشرة التي سنقف عندها فيما سيلحق والتي أسست لما يعرف بالفلسفة الغربية الحديثة.

التوسيع:

1. فلسفة عصر النهضة:

من الصعب اعطاء عصر النهضة تحديدا زمانيا دقيقا، لكن يمكن القول أن عصر النهضة امتد من سنة 1400 غلة سنة 1600م على حد رأي الإيطاليين، أي مطلع القرنين 15 و16. كما أن بعض المؤرخين ذهبوا إلى أن سقوط القسطنطينية في عام 1453م على أيدي الأتراك أو العثمانيين هو نهاية العصر الوسيط وبداية عصر النهضة. ذلك أن سقوط القسطنطينية دفع بالعديد من رجال الفكر والعلم والأدب إلى الهرب نحو أروبا، وهذا ما سارع إلى نقل وإحياء التراث اليوناني.

لقد أعطانا عصر النهضة فلاسفة عديدين، نذكر منهم على سبيل المثال: "باتريزي" Patrizzi" (1529-1597م) الذي ألف كتاب فلسفة الكون الجديدة، حيث يعطي مبدأه الأسمى، إسم الواحد، الكل، العام، الأحد، الذي لايوجد أي شيء خارج ذلك المبدأ، فلاشيء ميت في نظره، ولامادة ميتة على حد قول "باتريزي". وهكذا نلاحظ أن المقولات الأهوتية التي كانت تنسب إلى الله من طرف الكنيسة نقلت الآن دون أن تفقد قداستها الروحية إلى الكون إلى الوجود.

ونجد أيضا الفيلسوف الإيطالي: بومبونازي Poponazzi »" (1462- م1525)، الذي ناضل ضد تعاليم الكنيسة وخاصة ضد مفهوم "خلود النفس"، لقد كانت تلك بمثابة ضربة موجعة تسدد إلى الكنيسة وتعاليمها، فسلطة الكنيسة كانت ترتكز على مصادرة مفهوم الجحيم والنعيم، سلطان الكنيسة كان يرتكز على تخويف الناس من سلطة بعيد عن المعقول، فلم يكن الناس يخافون في الحقيقة من الموت بقدر تخوفهم من الكنيسة منبر الترهيب والخوف. وخلاصة فكر "بومبونازي" هو أن الفلاسفو والاهوتيين لايمكن أن يلتقوا، لأن ميادين الفلسفة ومواضيعها تختلف جوهريا عن ميادين الأهوت ومواضيعه، وعلى ذلك فمن الممكن في نظره أن يكون الصحيح في الفلسفة فاسدا في الدين، كما يمكن أن يكون الصحيح في الدين خاطئا في الفسلفة.

1. الإصلاح الديني:

في هذه الفترة عاد "مارتن لوثر" (1483- م1546) بالمسيحية إلى تعاليم القديس "بولس"، إي إلى الأصل الذي انبثقت منه، من هنا نادى "لوثر" بتحرير واستقلال الدولة والعائلة عن سلطة الكنيسة، ودعى في المقابل إلى تعاليم جديدة كالسماح للكهنة بالزواج وتبسيط طقوي العبادة، وحذف الصور من الكنائس. لقد نادى "لوثر" بافنسان رقيبا على نفسه ومحاسبا نفسه بنفسه. هكذا أجرى " لوثر " تطويرا مهما على مستوى مفهوم الدعوة إلى المسيحية . وحرم رسميا من غفران الكنيسة عام 1521م، وصدر قرار بالقبض عليه وفر ولم يسلم، وقام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية.

هكذا كانت حركة الإصلاح الديني والتي بينا مثالها في نموذج " لوثر" أسست لما يعرف بالدين الطبيعي، بعيدا عن كل الطقوس والمراسيم الشكلية.

3- على المستوى السياسي: أحدث كتاب "الأمير" لصاحبه: " نيكولا ماكافييلي" ضجة مدوية، بسبب ماصرح فيه من تصورات سياسية جديدة ملهمة والتي دارت في مجملها حول رؤيته للأمير الذي يصلح لقيادة الدولة. وذكر من أهمها ضرورة العودة إلى الأخلاق الإغرقية القديمة القائمة على القوة وازدراء الضعف، ذلك أن الأمير في نظره عليه أن يوظف كل الوسائلة المتاحة له بغية تحقيق قيادة الدولة القوية فكان شعاره المشهور : " الغاية تبرر الوسيلة ".

خلاصة:

قدم عصر النهضة خدمات جليلة للفكر الغربي عموما من وسائل أسهمت في تطوير الفكر كما أشرنا سالفا كما أسهمت أيضا في تطوير العلم وتقدمه، نذكر في هذا السياق اختراع الطباعة، ماسهل انتشار المقروئية.

ومن بين الإسهامات الكبيرة لفكر عصر النهضة، هو ما أحدثه ذلك التجديد الفكري من انقلاب كبير في مجال الفلك، إذ أن النظام الفلكي القديم والذي استمر حتى نهاية القرن 15م، كان يعرف بنظام "بطليموس" الذي استند على فلسفة "أرسطو" في الطبيعة تحت شعار: أن الأرض هي مرطز الكون وهي ثابتة لاتتحرك، تحيط بها الشمس والكواكب في أفلاك ثابتة خالدة. وهذا مارفضه "كوبرنيك" الذي دافع على تصوره الجديد ومفاده أن الأرض تدور كأي كوكب حول الشمس، وهو نفس الشعار الذي أعدم من أجله.

لاننسى أن نشير أنه في عصر النهضة كذلك تأسس العلم التجريبي مع "كيبلر" ( 1571- 1620م) الذي تيقن أن الطبيعة تسير وفق قواعد واضحة.

كما تم كذلك تجديد العمل الفني مع كبار نحاتي ورسامي عصر النهضة مثل " دوفانسي"

ومايكل انجلو". بل وحتى الحركة الأدبية عرفت توجها مناقضا للكنيسة يكفينا أن نشير إلى كتاب "دانتي" الكوميديا الإلاهية.